لماذا مات يسوع؟

تأليف: تومي ثاوس

بعد بحثنا في السؤال عن الكيفية التي مات بها يسوع يجب أن نطرح أيضاً سؤال ربما يكون الأكثر أهمية: لماذا مات؟ ماذا عمل حتى جلب عليه مثل هذا الموت الفظيع بكل ما تصاحبه من الآلام؟ هل فعل أي شيء جلب عليه كل هذا؟ هل هناك من يُلقى عليه اللوم بسبب موت يسوع، وإن كان الحال كذلك، على من يكون؟

عند محاولتنا للإجابة على هذا السؤال، ينبغي أن نتعامل معه من وجهتي نظر مختلفتين: وجهتي نظر تاريخية ولاهوتية. من الناحية التاريخية، ما هي الظروف التي أدت إلى موته؟ ومن الناحية اللاهوتية، ما هو السبب الذي كان ينبغي أن يموت من أجله (كما قال هو نفسه؛ لوقا ٩: ٢٢؛ ٢٤: ٤٥-٤٧)؟ ما حققه موته؟

أسباب تاريخية لموت يسوع

تجاهل لتقاليد اليهود التي هي من صنع الإنسان

أولا، لننظر في الأسباب التاريخية لموت يسوع. يقول إنجيل مرقس ٣: ١-٦ أن يسوع خلال خدمته المبكرة في الجليل، كان قد اغاظ السلطات الدينية بأسئلة لم يستطيعوا الإجابة عليها مما كشف عن إفتقارهم إلى الفهم الروحي. لقى يسوع في المجمع في أحد السبوت إنسان يده يابسة. إذ لم يكن القادة الدينيون يبالون بحالة ذلك الرجل، بدأوا يراقبون يسوع ليروا ما إذا كان «سينتهك» السبت بشفاء ذلك الإنسان أو لا. اما يسوع فقدم لهم هذا الرجل كمثال حي لحاجة الإنسان، وسألهم إذا كان يحل فعل الخير في السبت أو فعل الشر، إنقاذ حياة أو قتل. سكتوا حتى لا يظهروا عنيدون ولا ينتهكوا قوانينهم. فغضب يسوع وحزن بسبب غلاظة قلوبهم وشفى ذلك الرجل. هذا بطبيعة الحال جعل الفريسيون يظهرون بطريقة غير لائقة، ويقول إنجيل مرقس ٣: ٦ انهم خرجوا «لِلْوَقْتِ مَعَ الْهِيرُودُسِيِّينَ وَتَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لِكَيْ يُهْلِكُوهُ». ظهر مدى إستيائهم من يسوع في الحقيقة أن هاتين المجموعتين {أي: الفريسيون والهيرودسيون} تحالفتا ضده، إذ كانتا في صراع عادة مع بعضهما البعض. كان الفريسيون الطائفة اليهودية التي تدعو إلى التقييد الشديد بالناموس وتعارض فرض الحضارة الاغريقية الرومانية على الشعب اليهودي. وكان الهيرودسيون، كما يوحي به هذا الاسم، هم الأغنياء المساندون لسياسات هيرودس ويشمل ذلك التعامل مع الرومان. كان هاتان المجموعتان تحتقران بعضهما الآخر. ولكنهما توحدتا في معارضتهما ليسوع. حتى في تلك المرحلة المبكرة من حياته العامة، أراد القادة الدينيون أن يهلكوه.

مواجهات كلامية مع اليهود

إزدادت تلك الحالة سوءاً حالما وصل يسوع إلى أورشليم في الأيام الأخيرة من حياته الأرضية. وردت بإنجيل متى ٢٢: ١٥-٤٦ سلسلة من الاصطدامات بين يسوع وممثلين لمختلف الفئات في الديانة اليهودية. كانوا يحاولون دوماً إصطياده عندما يقول شيء يستحق إلقاء القبض عليه بسببه وقتله، ولكنه تجنب محاولاتهم مراراً وتكراراً واستمر يكشف عن عدم عمق تفكيرهم الروحي. في أول تلك المواجهات دبر له الفريسيون والهيرودسيون ما اعتبروه فخاً لا مفر منه. سألوه عن شرعية دفع الضرائب لقيصر. لو قال انه من الضرورة دفع الضرائب، فانه سيفقد سريعاً تأييد الشعب له، هذا الشعب الذي يحتقر الرومان المتسيدين عليهم. وإن قال لا يجب دفع الضرائب، فانهم سيرفعون أمام السلطات الرومانية تهمة مدنية تعتبره متمردا. ولكن إجابة يسوع لهم لم تتركهم بشيء يقولونه وربما أثبتت انهم قد أُحْرجوا. قال لهم: «أَعْطُوا مَا لِقَيْصَرَ لِقَيْصَرَ وَمَا لله لله» (مرقس ١٢: ١٧؛ لوقا ٢٠: ٢٥).

حاول ممثلو الجماعات اليهودية الأخرى اصطياد يسوع، ولكن دون جدوى. وأخيراً تشاور رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب ليروا كيف يلقون القبض عليه ويقتلونه

دون أن يسببوا أعمال شغب بين الشعب (متى ٢٦: ٣–٥). كان عليهم أن يكونوا حريصين جداً لأن ذلك كان موسم عيد الفصح. كانت أورشليم مليئة بالزوار في ذلك العيد العظيم، وكان ذلك دائماً تقريباً زمان توقعات متزايدة لمجيء المسيا واضطرابات. لم يكن حدوث اضطراب عظيم بين الشعب يتطلب جهداً كبيراً؛ كان معظمهم يعتقدون أن يسوع نبياً، إن لم يكن المسيا نفسه. إذا أثار القادة الدينيون أعمال شغب سيتعامل الرومان بصرامة مع الجميع.

مواجهات يسوع الكلامية مع القادة الدينيين لم تكن الشيء الوحيد الذي أدى إلى موته. كان قد ذهب إلى الهيكل عند وصوله إلى أورشليم وأخرج بعنف الصيارفة وباعة الحيوانات بقوة (مرقس ١١: ١٥–١٨). ما يشار إليه عادة بـ «تطهير» الهيكل كان عمل جريء أغضب القادة الدينيين، وبصفة خاصة رؤساء الكهنة والكتبة الذين كانوا يسيطرون على الهيكل ونشاطاته. ما عمله يسوع لا يدل على إدانة إدارتهم للهيكل وشؤونه فحسب، بل يدل أيضاً على أن له سلطان على الهيكل. يضيف إنجيل مرقس ١١: ١٨ قائلاً «بُهِتَ الْجَمْعُ كُلُّهُ مِنْ تَعْلِيمِهِ». وتشير كلمة «الجميع» هنا إلى جماهير العباد العاميين. هذا التسلط على الهيكل جعل يسوع إنسان خطر جداً في أنظار السلطات اليهودية.

تعاليم ضد قادة اليهود

عامل أخر ساهم في موت يسوع هو المثل الذي قاله عن الكَرْم «مثل الكَرَّامين القَتَلَة» (متى ٢١: ٣٣–٤١؛ راجع مرقس ١٢: ١–١٢؛ لوقا ٢٠: ٩–١٩). بينما قد يبدو هذا مثل قصة غير مؤذية ظاهرياً، إلا أنه كان له معنى إضافي مشؤوم. وخاصةً في ذلك الجو السائد آنذاك. كان ذلك المثل عن إنسان غرس كرماً، وسلمه لمزارعين للاعتناء به مقابل جزء من المحصول، ثم سافر إلى بلد آخر. وعندما أرسل خُدام ليأتوا له بما يستحقه من المحصول، ضربهم المزارعون، وقتلوا البعض منهم. حاول صاحب الكَرْم مرة أخرى، ولكن كانت النتيجة هي نفسها. وأخيراً أرسل ابنه، متمنياً أن هؤلاء المزارعين سيحترمونه وينحوا عن المقاومة. ولكن بدلاً من ذلك، قتلوه، ظانين انهم بعد ان تخلصوا من الوريث سيملكون ذلك الكَرْم بطريقة ما. وفي نهاية هذا المثل طرح يسوع السؤال: «فَمَتَى جَاءَ صَاحِبُ الْكَرْمِ، مَاذَا يَفْعَلُ بِأُولئِكَ الْكَرَّامِينَ؟» أجابوه دون تردد: «أُولئِكَ الأَرْدِيَاءُ يُهْلِكُهُمْ هَلاَكًا رَدِيًّا، وَيُسَلِّمُ الْكَرْمَ إِلَى كَرَّامِينَ آخَرِينَ يُعْطُونَهُ الأَثْمَارَ فِي أَوْقَاتِهَا». يكمن مغزى هذا المثل وإستجابتهم له في الحقيقة أن في العهد القديم كثيراً ما كان الله يصف إسرائيل بالـ «كَرْم» (إشعياء ٥: ١–٧؛ راجع إرميا ٢: ٢١). الفكرة بانه يمكن أخذ الكَرْم ويُعْطى لآخرين كانت إهانة للقومية اليهودية، وتهديد لقادتها بصفة خاصة. هذا ما قاله يسوع بالضبط في الآية ٤٣: «لذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ». أثَر ذلك على القادة الدينيين تأثير فوري: «وَلَمَّا سَمِعَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ وَالْفَرِّيسِيُّونَ أَمْثَالَهُ، عَرَفُوا أَنَّهُ تَكَلَّمَ عَلَيْهِمْ. وَإِذْ كَانُوا يَطْلُبُونَ أَنْ يُمْسِكُوهُ، خَافُوا مِنَ الْجُمُوعِ، لأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ مِثْلَ نَبِيٍّ» (متى ٢١: ٤٥ و٤٦).

خيانة من قبل صديق

أخيراً، تم القبض على يسوع بمساعدة واحد من رجاله، وهو يهوذا الإسخريوطي. يقول إنجيل يوحنا ١٨: ٣١ أنه لم يحق لليهود شرعياً اعدام أي شخص دون موافقة الرومان، لهذا حاولوا أن يجدوا تهمة على يسوع تبرر تسليمه لبيلاطس للمحاكمة. (لا يعني هذا انهم لم ينتهكوا قط ذلك القانون، ولكن الحدث الوارد في أعمال الرسل ٧: ٥٤ إلى ٨: ١ كان من عمل الجموع، وليس إعدام شرعي). يقول إنجيل متى ٢٦: ٥٧–٦٨ أن يسوع أُخِذ بعد القبض عليه في بستان جثسيماني إلى بيت قيافا رئيس الكهنة، حيث تم استجوابه من قبل ما يبدو جمع مرتجلة من قادة اليهود الدينيين. في تلك الجلسة أُدين يسوع بتهمة دينية عن التجديف وربما ليس لأنه قال انه المسيا المنتظر. إدعاء الشخص بانه المسيا لم يكن جريمة دينية بحد ذاته. حسب ما ورد في إنجيل متى ٢٦: ٦٤ و٦٥ جاءت التهمة بالتجديف من كلام يسوع بانه ليس المسيح فقط، بل انهم سيبصرون «ابْنَ الإِنْسَانِ جَالِسًا عَنْ يَمِينِ الْقُوَّةِ {أي الله}، وَآتِيًا عَلَى سَحَابِ السَّمَاءِ». هذا الادعاء الواضح بالمقام الإلهي جعل رئيس الكهنة ينطق بحكم فوري:

«إِنَّهُ مُسْتَوْجِبُ الْمَوْتِ» (الآية ٦٦).

محاكمات غير عادلة

كانت الخطوة التالية في طريق يسوع نحو الصليب هي محاكمته أمام بيلاطس. كان القادة الدينيون يعرفون أن بيلاطس لا يهتم باتهامات التجديف. لهذا اتهموا يسوع بانه يقود تمرد (لوقا ٢٣: ١-٥). اتهموه بصفة خاصة بانه كان يمنع دفع الضرائب لقيصر (ولم يكن قد فعل ذلك) وبالادعاء انه ملكاً. كانوا يعرفون أن بيلاطس الذي كانت مسؤوليته الأساسية مرعاة مصلحته سيحقق في هاتين التهمتين. حسب الأناجيل الأربعة، استخلص بيلاطس سريعاً أن هذه التهم لم تكن السبب الحقيقي لعداوتهم ليسوع. (لم يكن اليهود يهتمون أبداً بمصلحة روما!) لهذا أراد بيلاطس أن يطلق سراح يسوع. ولكنه استسلم أخيراً إلى التهديد بانه هو نفسه قد يتهمونه بعدم الإخلاص لقيصر إذا سمح لمنافس على العرش بالحياة (يوحنا ١٩: ١٢). لم يخاطر بيلاطس بالسماح لمثل هذه التهمة أن تُقَدَّم ضده. مع انه اعترف ببراءة يسوع، إلا انه سرعان ما استخلص أنه (إن كان الخيار هو بين حياته وحياة يسوعِ) ينبغي ليسوع أن يموت. «فَحِينَئِذٍ أَسْلَمَهُ إِلَيْهِمْ لِيُصْلَبَ. فَأَخَذُوا يَسُوعَ وَمَضَوْا بِهِ» (يوحنا ١٩: ١٦).

حاكم ضعيف

يشكك البعض في أن بيلاطس قد سمح لنفسه بان يخوفه اليهود بهذه الطريقة. كان بيلاطس يحتقر اليهود الذين يحكمهم، وكانوا يبغضونه (راجع لوقا ١٣: ١)؛ ولكن الدلائل تشير إلى انه كان باستطاعتهم أن يضغطوا عليه ليرضخ لإرادتهم. بعد وقت قصير من وصول بيلاطس إلى فلسطين في سنة ٢٦ ميلادية، أثار حفيظة اليهود إذ جلب إلى أورشليم رايات رومة التي تحمل صور الأمبراطور. كان اليهود يبغضون ذلك باعتباره ضمن «تماثيل منحوتة». توسل وفد من اليهود إلى بيلاطس لمدة خمسة أيام وخمسة ليالي من أجل إزالة تلك الرايات. وفي اليوم السادس أمر بيلاطس جنوده بانٍ يستلوا سيوفهم. شاء اليهود أن يقبلوا الموت بدلاً من انتهاك ناموسهم. إذ خاف بيلاطس من أن ثورة كبيرة قد تنشب نتيجة لمقتل مثل هذا العدد بسبب مسألة دينية، تَرَخَى وأزال تلك التماثيل من أورشليم[١]. لم يكن بيلاطس يهتم بإرضاء اليهود، ولكنه كان مجرد من المبادىء إلى حد يضحي فيه بحياة إنسان لكي يخلص نفسه من مشكلة.

إجابة متعددة الجوانب

من الناحية التاريخية، لماذا مات يسوع؟ الإجابة على هذا السؤال متعددة الجوانب. مات لأنه أثار غضب القادة الدينيين في أورشليم. مات لأنه قال أن له سلطان على بعض المؤسسات اليهودية الأكثر قداسة، بما فيها الهيكل نفسه. مات لأنه تنبأ بسقوط النظام اليهودي القائم آنذاك في آخر المطاف. مات لأن بعض من معاصريه (أي أصحاب السلطات الدينية) أعتبروه مجدفاً. مات لأنه أُتُهِمَ بالعصيان ولأن الوالي الروماني الذي أدرك أن يسوعِ لم يمثل تهديد سياسي ولا عسكري. كان ضعيفاً لم يستطع مقاومة الضغط الذي كان عليه لكي يحكم عليه بالموت. تشهد المصادر التاريخية على كل هذا بكثرة.

هل يكونِ اللوم على «اليهود»؟

لقد أتهم العهد الجديد (وخاصة الأناجيل، تلك الأسفار الأربعة بصفة خاصة) بانه معاد لليهود، وذلك بتحريف ما حدث بالفعل لكي يلقي اللوم على أعداء المسيحية التقليديين، أي اليهود. من أحد الادعات هو أنه كان يجب إلقاء اللوم على بيلاطس والرومان؛ وآخرون أيضاً يقولون أن السلطات اليهودية حاولت بالحقيقة إنقاذ يسوع، ولكن بيلاطس كان متعطش للدماء إلى حد لم يستطيعوا إنقاذ يسوع منه. علاوة على ذلك، تستخدم الجماعات ذات النوايا العدوانية الأناجيل لتبين أن اليهود هم قاتلوا المسيح ويجب إخضاعهم لكلِ ما يمكن من سوء المعاملة. أهذا ما يقوله الأناجيل حقاً؟ هل الأناجيل معاديةٍ لليهود؟

كون أن الأناجيل أُسْتُخْدِمَت لتعزيز القضايا

---

[١] يوسيفوس في كتابه بعنوان «Wars» ٢. ٩. ٢-٣؛ و«Antiquities» ١٨. ٣. ١.

المعادية لليهود، لا يعني هذا أن نيتها معادية لليهود. قد لا تصور الأناجيل الكثير من اليهود في طريقة إيجابية جداً، إنها تتعامل بصفة أساسية مع خصوم يسوع اليهود. ولكنها لا تصور جميع اليهود بهذه الطريقة نفسها، إذ هذا ضروري بحكم التعريف لإثبات تهمة المعاداة لليهودية.

في الواقع تم تقديم بعض اليهود في الأناجيل بطريقة ايجابية جداً. ذكرت الأناجيل الأربعة يوسف الذي من الرامة، وكان ذات مركز مرموق في المجتمع اليهودي، وعضو المجلس نفسه الذي حكم على يسوع (أي السنهدريم)، طلب جسد يسوع من بيلاطس لكي يدفنه. كان ذلك التحرك عمل جريء وكريم على ضوء ما قد حدث ليسوع قبل ذلك بقليل وما قد يحدث لكل من بدا ودي معه (متى ٢٧: ٥٧-٦١؛ مرقس ١٥: ٤٢-٤٧؛ لوقا ٢٣: ٥٠-٥٦؛ يوحنا ١٩: ٣٨-٤٢). تلقى يوسف مساعدة في تلك المهمة من قبل نيقوديموس الذي وُصِف بانه كان «رَئِيسٌ لِلْيَهُودِ» و«مُعَلِّمُ إِسْرَائِيلَ». كان نيقوديموس قد اعترض على إدانة يسوع بدون إستماع لائق (يوحنا ٣: ١، ١٠؛ ٧: ٥٠-٥٢).

يشير إنجيل يوحنا عدة مرات إلى خصوم يسوع بكلمة «اليهود» فقط، مما أدى إلى الاتهام بان يوحنا يلوم جميع اليهود (بما فيهم أحفادهم) بموت يسوع. ولكن يوسيفوس المؤرخ اليهودي في القرن الأول استخدم هذا المصطلح نفسه للإشارة إلى هؤلاء الزيلوتيين الذين تحدوا روما مما أدى ذلك إلى خراب أورشليم في سنة ٧٠ ميلادية. ولوم الكارثة كلها على «اليهود»، ومن الواضح أن هذا يعني انهم المسؤلين عن قيادة التمرد على روما[٢]. استخدم يوحنا هذه الكلمة بالطريقة نفسها. هكذا أيضاً أدان أنبياء العهد القديم العبرانيين اليهود غير المؤمنين واليهود المتمردين. هذا التعبير غير فريد في الأناجيل ولا هو معاد لليهود بالحرف. (راجع سفر ملاخي كمثال من الأمثلة الكثيرة).

يحظى ما ورد في إنجيل متى ٢٧: ٢٥ باهتمام خاص بما يختص بهذا الأمربعد ما «غسل» بيلاطس «يديه» من دم يسوع (الآية ٢٤) صاح الذين (تحت نفوذ رؤساء الكهنة والشيوخ) قائلين: «دَمُهُ عَلَيْنَا وَعَلَى أَوْلاَدِنَا!». يتم تفسير هذه الآية بانها تعني أن كل اليهود في كل الأزمنة مسؤولين جميعاً عن موت يسوع. ولكن تفسير «الذنب الجماعي» لهذه الآية هو بلا استحقاق. ليس هناك سجل يدل على تصديق الله للعنة ولا أي من كُتَّاب العهد الجديد لمثل هذه الفكرة. قال متى ببساطة أن الشعب قالوا هذا، يجب أن يكفي هذا.

ينبغي أن نتذكر أن صلب يسوع هو قصة شخص يهودي أسلم للاعدام من قبل يهود آخرين، كما دونها الكُتَّاب اليهود (بإستثناء لوقا، الأممي الوحيد بين كُتَّاب العهد الجديد). التهمة بالعداوة تجاه اليهود غير ذات معنى تُذكر، إذ أن يسوع وأتباعه الأولون كانوا جميعاً يهود. النصوص الواردة في الأناجيل والتي تتحدث بسلبية عن اليهود هي في سياق محدد يختص بالذين كانوا يعارضون يسوع. عندما يؤخذ هذا بعيداً عن السياق ويُستخدم ضد اليهود في يومنا هذا هو التغاضي عن كل من التاريخ والتفسير المعقول لهذه النصوص.

لا نتعامل هنا مع قصة خيالية خاضعة لكل تفسير نضعه عليها، اعتماداً على رغبتنا الروحية أو القومية أو العاطفية. بل موت يسوع هو حدث في التاريخ، أكد صحته كل من المصادر اليهودية وغير اليهودية من القرنين الأول والثاني الميلاديين. نحن غير مؤهلين باعدة كتابة التاريخ، بغض النظر عن إلى أي حد نجده مشمئزاً لنا شخصياً. كما صدق شخص ما بقوله أن محاولة تغيير التاريخ تؤدي إلى فقدانه، لأننا إن كنا قد عدلناه ليتناسب مع أذواقنا الشخصية، نفقد تاريخ ما قد حدث حقاً. قصة يسوع هي عن محبة المسيح المتمثلة في التضحية بالذات من أجل فداء الجنس البشري كله. انها ليس عمن يحب يسوع بقدر ما هي عمن هو يسوع ولماذا مات.

وفي الوقت نفسه، تشمل هذه القصة إجزاء عن أعداءه الذين أصروا على قتله وعن الذين أعدموه بالفعل. ليست هناك طريقة لسرد هذه القصة دون ذلك. إظهار ما حدث لا يدين المجموعة بكاملها بأي طريقة (وطبعاً لا يدين النسل)، ولا يسمح بإي نوع من

[٢] يوسيفوس في كتابه بعنوان «Wars» ٢. ٤٦٦؛ ٥. ١٠٩-١١٠؛ ٦. ٧١-٧٩، ٢٥١-٥٣.

التحيز أو البغض.

التصور عن يسوع الذي يقدمه بعض الشكوكيون، مثل « ندوة سمينار» يسوع لا يتعامل بعدل مع الحقائق التاريخية لموت يسوع. لقد جرد هؤلاء النقاد الأناجيل من كل الكلام عن ألوهية يسوع ومسيحانيته وربانيته بناءاً على الافتراضات ضد القوة غير الطبيعية وفي محاولة لإزالة ما يرونه كـ«المعاداة لليهودية» في الأناجيل. وبدلاً من ذلك، يقدمونه كصوفي متجول كان يحكي قصص رائعة ويبارك الأطفال ولم يقل أي شيء أبداً ليغيظ أحد. وبهذا يجعلون موته لغزا.

موت يسوع على يدي بيلاطس (وبإصرار السلطة اليهودية) هو واحد من الحقائق التاريخية الأكثر تأكيداً عنه. وتشهد كل من المصادر المسيحية وغير المسيحية على هذا. إن لم يقل يسوع ما تقول الأناجيل انه قاله عن نفسه، نتساءل لماذا يهتم أي من كان بقتله.

أسباب لاهوتية لموت يسوع

المجموعة الثانية من الأسباب التي أدت إلى موت يسوع لا يمكن للتاريخ تأكيد صحتها، بل هي مسألة إيمان يمكن إثباته أو عدم إثباتها بالوسائل التاريخية. عند تفكيرنا بها، أرجو الذكر أن المصادر التي أعطتنا الأسباب التاريخية لموت يسوع هي نفسها التي تعطينا أيضاً هذه الأسباب اللاهوتية. بما أننا قد رأينا أن هذه المصادر تدعمها شهادة خارجية دعماً كبيراً، هناك سبب مقنع لتصديق ما تخبرنا به لاهوتياً وتاريخياً أيضاً. سواء كنت تفضل أن تؤمن أو لا تؤمن بما تقول الأناجيل عن الأسباب اللاهوتية لموت يسوع، فانه من المهم أن تعترف على الأقل بان هذا ما كان يؤمن به المسيحيون الأوائل. من الناحية اللاهوتية، لماذا مات يسوع؟

لتتميم قصده

قال يسوع نفسه انه كان من الـ«ضروري» أن يموت على الصليب. ماذا قصد بذلك؟ قال: «إِنَّهُ يَنْبَغِي أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ يَتَأَلَّمُ كَثِيرًا، وَيُرْفَضُ مِنَ الشُّيُوخِ وَرُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالْكَتَبَةِ، وَيُقْتَلُ، وَفِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ يَقُومُ» (لوقا ٩: ٢٢). عندما قال يسوع هذا، استخدم كلمة يونانية صغيرة وهي «ديي» ومعناها «من الضروري» بمفهوم انه في غاية الاضطرار. قد يكون ذلك اضطرار إلهي (أي مشيئة الله)، اضطرار ذاتي، أو ما كان مطلوب حسب الظروف القائمة. بما يتعلق بيسوع، شمل على كل ذلك، بل وأكثر. لم يكن موت يسوع صدفة، ولم يكن شيء يطلب تجنبه. بل كان يعتبره ضرورة إلهية التي كانت حياته تتوجه نحوها. (راجع تنبوئين أخرين عن الآلام في إنجيل لوقا ٩: ٤٤ و١٨: ٣١-٣٣). كما قال يسوع. قال يسوع عند موته «قَدْ أُكْمِلَ!» (يوحنا ١٩: ٣٠). ما هو ذاك الذي :«أُكْمِلَ»؟ ماذا حقق يسوع بموته؟

لتأسيس العهد الجديد

النص االوارد في إنجيل متى ٢٦: ٢٦-٢٨ هو نص هام عند الإجابة على هذا السؤال. عندما تناول يسوع العشاء الأخير مع تلاميذه، أخذ الخبز والخمر واعطائهم. يمثل الخبز جسده. ثم أخذ الكأس وقال: «... هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا». تظهر هنا فكرتان رئيسيتان. أحدهما هي أن يسوع اعتبر موته كشيء فعال لتأسيس عهداً جديداً بين الله وشعبه. كما كان العهد القديم قد أبرم بسفك دم حيوانات، هكذا أيضاً ينبغي أن يأتي عهد المسيح الجديد بسفك دمه هو نفسه. (راجع أيضاً عبرانيين ٩: ١٥-٢٢ لحوار كامل عن هذا الجانب من دم يسوع وموته). لماذا؟ الفكرة الرئيسية الأخرى في هذا النص توضح: «غفران الخطايا». يقول العهد الجديد انه عندما مات يسوع كان ذلك لتوفير وسيلة الخلاص. من الواضح أن هذا هو السبب الذي يسميه فيه إنجيل يوحنا ١: ٢٩ «حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!» كما أن الأسرائيليون كانوا يقدمون الحمل وحيوانات أخرى طلباً للتكفير عن خطاياهم، هكذا أيضاً قدم يسوع دمه (عبرانيين ٩ مرة أخرى). عندما قدم ذبيحة في آخر المطاف للخطايا،ذبيحة لا يجب تكرارها في ما بعد لأنها فعالة تماماً (راجع عبرانيين ١٠: ١١-١٨؛ رومية ٣: ٢١-٢٦).

ليأتي بمغفرة الخطايا

كان في مركز رسالة المسيحيون الاعلان بان

«الْمَسِيحَ مَاتَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا حَسَبَ الْكُتُبِ» (١ كورنثوس ١٥: ٣). طريقة أخرى يتم بها التعبير بهذا في العهد الجديد أن يسوع حمل إثمنا وعقابنا نيابة عنا. لأن الله وضع عليه بصفته كبش الفداء جميع خطايا العالم لكي يكفر عنها جميعاً. تعبر رسالة بطرس الأولى ٢: ٢٤ بفصاحة، إذ أعادت صياغة ما ورد في الأصحاح ٥٣ من سفر إشعياء النبي: «الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ. الَّذِي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ».

من المستحيل فهم موت يسوع بمعزل عن فكرة الخطيئة هي مفهوم غريب في عالم اليوم. إن لم نضع الخطيئة في الاعتبار، يبدو موت يسوع كأنه مجرد عمل وحشي بلا معنى. عندما نفكر بالخطيئة، قد نرى الحاجة إلى ما قاله يسوع.

ليغلب على الموت

حتى هذه المفاهيم السامية لا تستنفد معنى موت يسوع. يناشدنا بولس في رومية ٥: ١٢-٢١ بان يسوع مات لكي يغلب على الموت نيابة عنا، وإذ قام يسوع من الأموات انتصر انتصاراً دُعينا كلنا للمشاركة فيه. هذا يعني حسب ما ورد في الرسالة إلى العبرانيين ٢: ١٤ و١٥ أنه قد تم تحريرنا ليس من الموت فحسب، بل أيضاً من الخوف منه. سواء كان هذا التقييم المتشائم صحيح أو لا، العهد الجديد يعلن بفرح انه لا يجب أن يكون لدينا اي خوف.

لكي يتمم الناموس ويزيله

قال بولس الرسول أن موت يسوع حررنا مما يسميه «لعنة الناموس» (غلاطية ٣: ١٣ و١٤). لا يعني هذا أن بولس رأى العهد القديم كلعنة. وإنما «لعنة الناموس» هي عدم استطاعتنا حفظ الناموس والإدانة الناتجة من ذلك الإخفاق. يستطيع نظام الشرائع أن يخلصنا إن كنا قادرين على حفظه كامل الحفظ فقط (يعقوب ٢: ١٠ و١١)؛ وإلا، فالشرائع نفسها تديننا. قد تساعد الشرائع في ردع التعديات، ولكنها لا تكفر عن التعديات؛ بل تديننا بدلاً من ذلك. قال بولس أن يسوع بموته على الصليب عمل لنا شيء لم يقدر الناموس أن يعمله «فِي مَا كَانَ ضَعِيفًا بِالْجَسَدِ». ولكن الله «إِذْ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي شِبْهِ جَسَدِ الْخَطِيَّةِ، وَلأَجْلِ الْخَطِيَّةِ، دَانَ {الله} الْخَطِيَّةَ فِي الْجَسَدِ» (رومية ٨: ٣). بموت يسوع لأجلنا تحررنا من «لَعْنَةِ النَّامُوسِ». مع اننا لا نستطيع إرضاء الله بقدرتنا، قد نتحرر بإيمان بدم يسوع {المسفوك لأجلنا}.

ليعطينا حياة جديدة

يوجد مفهوم «الموت عن الخطيئة» و«الحياة للبر» بموت يسوع في صلة وثيقة مع هذه الحرية من الناموس. استجاب بولس في رومية ٦: ١-٤ على السؤال عما إذا كانت نعمة الله المعطاة بيسوع تعني أن «{نبقى} فِي الْخَطِيَّةِ لِكَيْ تَكْثُرَ النِّعْمَةُ». وأجاب قائلاً «حَاشَا!» لماذا؟ استمر قائلا:

> أَمْ تَجْهَلُونَ أَنَّنَا كُلَّ مَنِ اعْتَمَدَ لِيَسُوعَ الْمَسِيحِ اعْتَمَدْنَا لِمَوْتِه، فَدُفِنَّا مَعَهُ بِالْمَعْمُودِيَّةِ لِلْمَوْتِ، حَتَّى كَمَا أُقِيمَ الْمَسِيحُ مِنَ الأَمْوَاتِ، بِمَجْدِ الآبِ، هكَذَا نَسْلُكُ نَحْنُ أَيْضًا فِي جِدَّةِ الْحَيَاةِ؟ (الآيتان ٣ و٤).

قال بولس أن يسوع لم يمت لأجلنا فحسب، بل بالمعمودية نشاركه في موته، متوقعين أن نُقام معه أيضاً من الأموات. تقدم الرسالة إلى عبرانيين ٩: ١١-١٤ فكرة مشابهة لهذه:

> وَأَمَّا الْمَسِيحُ، وَهُوَ قَدْ جَاءَ رَئِيسَ كَهَنَةٍ لِلْخَيْرَاتِ الْعَتِيدَةِ، فَبِالْمَسْكَنِ الأَعْظَمِ وَالأَكْمَلِ، غَيْرِ الْمَصْنُوعِ بِيَدٍ، أَيِ الَّذِي لَيْسَ مِنْ هذِهِ الْخَلِيقَةِ، وَلَيْسَ بِدَمِ تُيُوسٍ وَعُجُول، بَلْ بِدَمِ نَفْسِه، دَخَلَ مَرَّةً وَاحِدَةً إِلَى الأَقْدَاسِ، فَوَجَدَ فِدَاءً أَبَدِيًّا. لأَنَّهُ إِنْ كَانَ دَمُ ثِيرَانٍ وَتُيُوسٍ وَرَمَادُ عِجْلَةٍ مَرْشُوشٌ عَلَى الْمُنَجَّسِينَ، يُقَدِّسُ إِلَى طَهَارَةِ الْجَسَدِ، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ لله بِلاَ عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَال مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللهَ الْحَيَّ!

ليقدم لنا مثالاً

سبب آخر مات يسوع لأجله هو لأن يقدم لنا مثالاً عن المعاناة عندما يكون الشخص مظلوماً وهو لم

يرتكب جرماً. لا تأتي الآلام نتيجة عمل ما هو خطأ فقط؛ عادة ما يعاني الناس لأنهم يتمسكون بعمل ما هو قويم. بينما لم يكن ذلك السبب الأساسي في موت يسوع، إلا انه عمل كمثال قوي لأتباعه الذين واجهوا مقاومة العالم غير المؤمن بعد ذلك بفترة قصيرة. مازال هذا مثالاً للناس في يومنا هذا. كتب بطرس ما يلي:

> ... فَإِنَّ الْمَسِيحَ أَيْضًا تَأَلَّمَ لأَجْلِنَا، تَارِكًا لَنَا مِثَالاً لِكَيْ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِه. «الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلاَ وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ»، الَّذِي إِذْ شُتِمَ لَمْ يَكُنْ يَشْتِمُ عِوَضًا، وَإِذْ تَأَلَّمَ لَمْ يَكُنْ يُهَدِّدُ بَلْ كَانَ يُسَلِّمُ لِمَنْ يَقْضِي بِعَدْل. الَّذِي حَمَلَ هُوَ نَفْسُهُ خَطَايَانَا فِي جَسَدِهِ عَلَى الْخَشَبَةِ، لِكَيْ نَمُوتَ عَنِ الْخَطَايَا فَنَحْيَا لِلْبِرِّ. الَّذِي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ (١ بطرس ٢: ٢١-٢٤).

يعبر العهد الجديد بأسباب لاهوتية أخرى لموت يسوع، ولكن تكفي ما قد تم تقديمها لإظهار اتجاه الفكر المسيحي المبكر. أرجو الذكر أن هذا ليس مجرد أفكار عشوائية للمؤمنين عند تأملهم في ما قد عمله يسوع ولماذا مات. لها جميعاً جذور في كلامه: «لأَنَّ هذَا هُوَ دَمِي الَّذِي لِلْعَهْدِ الْجَدِيدِ الَّذِي يُسْفَكُ مِنْ أَجْلِ كَثِيرِينَ لِمَغْفِرَةِ الْخَطَايَا» (متى ٢٦: ٢٨). انها تساعدنا في فهم طبيعة موت يسوع المتعدد الجوانب. لم يكن موته مجرد اعدام أو نهاية مأساوية لرجل دين زيلوتي مرتبك. بل تضحية شخص قدم حياته فدية لكثيرين، وكان قد خُطِطَ لها بعناية.

جميع الحقوق محفوظة ٢٠١٠